مجلة دراسات في العلوم الإنسانية
١٤٣٦/٢٠١٥، ٢٢ (١)، ٨٣-٦٩
ISSN: 1735-5052
http://aijh.modares.ac.ir

التعدد اللغوى في الجزائر

محمد الأمين خلادى
آستاذ اللغة العربية ولنقد الأدبي، باحث فى اللغة العربية والنقد والداراسات الإعجازية والبيانية
و تعليمية اللغة قسم اللغة العربية وآدابها جامعه أدرار، الجزائر
E-mail: Amine _ Proof@yahoo.com

تاريخ الوصول: ١٤٣٦/١/٥ تاريخ القبول: ١٤٣٦/٨/١٨

الملخص

تحاول هذه الدراسة بحث ظاهرة التعدد اللغوي الموجود في الجزائر والهدف منها بيان التنوع اللغوي واللساني الذي يتصّف به الواقع الجزائري وعلاقته بالمستوى اللغوي للمتعلم والطفل، مع إبراز الخصائص للتعدد وأسبابه وتجلياته، وذلك بمنهج وصفي تاريخي يتتبع الظاهرة واصفاً صورها ومجالاتها؛ حيث أنّ مسألة البحث تقتضي التدليل على أثر هذا التعدد في الجزائر ومحاولة رسم الواقع اللغوي الجزائري المعاش قصد بلوغ بعض النتائج ككيفيّة المعالجة للتعدد دون الإضرار بالهوية الوطنية واللغوية للتعدد الكائن والتأكيد على أنّ اللغة العربية هي فوق أي تعدد وذلك عن طريق الجمع بين أصل المكانة التي تختص بها لغة الإعجاز التي تمثّل الروح التي تحفظ الهوية وعدم إقصاء التنوع اللغوي الذي يصون تلك الهوية أيضا.

الكلمات الرئيسة: التعدد اللغوي في الجزائر، اللغة العربية، المتعلم، الطفل، المجتمع

المقدمة

تعد اللغة العربية هي اللغة الرسمية في الجزائر منذ دستور ١٩٦٣. بالإضافة إلى اعتبار اللغة الأمازيغية لغة قومية منذ التعديل الدستوري لـ ٨ ماي ٢٠٠٢. إنّ اللغتين العربية والأمازيغية ينطق بها حوالي ٩٩% من الجزائريين، حيث يتحدث ٧٢% منهم بالعربية بينما ٢٧% بالأمازيغية. أما اللغة الفرنسية فهي تُستخدم على نطاق واسع في الدولة الجزائرية، كالمجالات الثقافية والإعلام والتعليم في الجامعات، وذلك على خلفية الاستعمار الفرنسى للجزائر، فالفرنسية تعد لغة شبه رسمية في الجزائر رغم عدم وجود ذكر لها في أي من المناشير الرسمية للدولة.

من هذا المنطلق، يبدو لنا من المجدي أن نشجّع الباحثين حتى يولوا وجهتهم شطر الدرس اللغوي العملي اليومي ومتابعة تمظهراته وتطوراته التاريخية في الجزائر؛ لا ليجمعوا الأسباب والعوامل وصور النشأة والتشكل داخل الوطن وخارجه والعناية بالوصف والجرد؛ وإنما للتعجيل بحلول منهجية معرفية وطنية للمشاكل المستشرية المحيطة بالظاهرة اللغوية بالجزائر على كل مستوياتها.

وإن كان المسلّم به يقينا هو أن عملية تعلّم اللغة الصحيحة مشروط بإعداد ذلك في المراحل الأولى لتعلّم الطفل

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-02-05]
[DOR: 20.1001.1.23834269.1436.22.1.1.1]

الجزائري وتعليمه؛ إلّا أنّ المعوّل عليه في الوسط الاجتماعي الجزائري حالياً هو التدقيق في توجيه آليات التدريس اللغوي إلى مستوى أعلى من الإتقان وايجاد الاهتمام لدى المربين والمعلمين وسائر المدرسين ودور الحضانة والروضات والمدارس القرآنية والنوادي وكل المؤسسات المعنية بتربية الطفل بالاضافة الى المدارس الابتدائية... من اجل اعدادهم منهجياً وتعليمياً ونفسياً واجتماعياً وتربوياً وايجاد التوازن بين التدريب على الكفاءة من جهة، وتأمين الكفاية المادية والمعيشية من جهة اخرى ؛ لا الاكتفاء بالجانب العلمي والمعرفي فقط ؛ أضف الى ذلك دور الإعلام الرسالي في تحمّل مسؤولية تعليم الأولياء آليات جذب ابنائهم نحو التدريب المنهجي والنفسي السليم فيما يخص التعامل اللغوي اليومي داخل البيت وفي الشارع، وقد اظهر الجزائريون – ولله الحمد – صورة الى حد ما جميلة في هذا المضار ،سواء أتعلق الأمر بالمناطق الشمالية والغربية والشرقية أم بالوسطى والداخلية والجنوبية.

و من هنا لا يصح الحديث عن ظاهرة التعدد اللغوي وتاريخها في الجزائر إلا اذا تكلّمنا عن حال التربية اللغوية في الأسرة الجزائرية وعن المستويات التعلّمية للغة العربية والفرنسية والإنجليزية وغيرها وعلاقة ذلك كله بالعامية وسائر اللهجات واللهجات المختلطة ناهيك عن حقيقة اللغة الجامعة وعن وجودها أو عدمه بين صفوف الجزائريين.

ويعدّ التعدد اللغوي سنّة من سنن الحياة وشرط من شروط توازنها ؛ ولقد أكّد الكتاب العزيز على هذه المسألة فقال عزّ من قائل: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ، إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ﴾. الروم:٢٢؛ لكنّ السرّ يكمن في مدى الحفاظ على اللسان ذي الهوية المخصوصة للمتكلمين بذلك اللسان. ولا ريب أن اللسان العربي هو المفضل في كلام الوحي، لكن ليس بمعنى اقصاء غير اللسان العربي، كما أن السنّة المطهرة بيّنت حقيقة الغاية التي لُخّصت في التقوى ضمن خطبة حجّة الوداع للنبي - صلى الله عليه وآله وسلم - لما قال: "إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، فلا فضل لعربي على أعجمي ولا أحمر على أسود إلا بالتقوى"(من نص خطبة حجّة الوداع)

من أجل ذلك سأحاول التركيز على عرض الظاهرة من جهة الكيفيّة البديلة للواقع اللغوي المتعدد المعاش في الجزائر، انطلاقا من ضبط المصطلحات المعتمدة في بحث تلك الظاهرة ومعرفة الشروط والضوابط التي نحسبها أصولا في نقد الظاهرة؛ لأن مفتاح المصطلح وخطورة استعماله من غير هدى يكون وبالاً على تلقي المفهوم، فيعيق ذلك عملية التوصيل والإفهام؛ ومن تلك المصطلحات: التعدّد اللساني، اللغة الجامعة، اللغة الوطنية، اللغات الأجنبية، التسامح اللغوي ،الهيمنة اللغوية، التعايش اللغوي، الانجراف اللغوي، الاحتكاك اللغوي، اللغات الأقطاب، الازدواجية اللسانية، تعليمية اللغة العربية، أثر الفصحى في الفهم والإفهام والتفاهم والسلوك، آثار الخلط بين اللغات في الحديث، تعليمية التوفيق بين الاستعمالات اللغوية المتعددة حسب المقامات والسياقات.

سوابق البحث

ومن بين الدراسات النادرة في مجال التعدد اللغوي واللساني مقالات في مجلة المجمع الجزائري للغة العربية ومجلة اللغة الأم ومقال للدكتور محمد يحياتن بعنوان "التعددية اللسانية من خلال الأبحاث اللسانية الاجتماعية الحديثة"، بمجلة اللسانيات. بالاضافة الى مقالة "واقع اللغة العربية في الجزائر" بقلم نصيرة زيتوني في مجلة جامعة النجاح للأبحاث. حيث تسلّط المؤلّفة الضوء على الصراع اللغوي الموجود في الجزائر، في الحياة العامة وفي ميدان التعليم والإعلام والإدارة،

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-02-05]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1436.22.1.1.1]

مبيّناً أسباب هذا الصراع تاريخياً وحجج الداعين إلى استعمال العامية وخطورة ذلك وتنتهي المقالة بعرض أهم التوصيات والمقترحات للنهوض باللغة العربية لكي تحتل الصدارة في هذا البلد، وتسترجع مكانتها المرموقة. وكذلك مقالة "الإشكال الهوياتي اللغوي الجزائري، أو إشكالية أزمة الانتماء" بقلم نورة قنيفة في مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية. حيث يدرس المقال إشكالية التناقض اللغوي الاجتماعي اللامتجانس من قبل الفرد الجزائري في مقابل فقدان لغة تعايش يمكن اعتمادها كسبيل ومنهج للحوار الأسري والاجتماعي بعيداً عن أي تعصب أو تطرف لغوي.

هذا ولم يُشَر في أي من هذه الجهود إلى علاقة هذه الظاهرة – أي التعدد اللغوي- بالمستوى اللغوي للطفل والمتعلم ولم يتطرّق الباحث فيها إلى معالجة التعدد وكذلك الى كيفيّة عدم الإضرار بالهوية الوطنية واللغوية.

وثمة مزيد من تلك السمات التي أكد عليها الباحث وهي في الحقيقة جديرة بالنظر والبحث ؛ كما ينصح بالاطلاع على بعض القراءات المتعلقة بهذا الشأن كالذي قدمه الأستاذ خالد هدنة في بحثه الموسوم: الازدواج اللغوي في الجزائر وانعكاساته الاجتماعية. (هدنة. وينظر"الصراع اللغوي في الجزائر: تأزيم الهوية"، ديدوح عمر)

وعليه أحاول بحث الظاهرة ونقدها من خلال أسئلة متعددة:

ـ لماذا وكيف تنتشر تلك الظاهرة الخطرة في مجتمعات غير المجتمع الجزائري؟

ـ ما هي الآليّات المنهجية والرسمية لتجاوز أزمة التعدد اللغوي في صوره السلبية؟

ـ أي دور يجب أن يؤديه المعلم والمتعلم تجاه التعدد اللغوي بين لزوم الاستعمال وقناعة التغيير؟

١. تنامي التعدد اللغوي في تاريخ الجزائر وحقائقه:

إنّ تاريخ اللغة العربية موصول بالفتح الإسلامي في بلاد المغرب الإسلامي؛ والجزائر سابقة لاعتناق الضاد لغة القرآن الكريم والمعجزة المحمدية؛ فازدان اللسان الجزائري بتلك اللغة من خلال فضيلة الفتح الإسلامي، وتعامل أهل الديار الجزائرية المحروسة قرونئذ بالعربية في سائر حياتهم سلماً وحرباً فأمدتهم بالتواصل العالمي مع دول عديدة.

فالعربية في بداية الفتح وما بعده بعقود غير قليلة كانت على خير حال حيث كانت متجانسة مع البربرية واللهجات الأصيلة في البلاد، كما أنها كانت اللغة التي كانت تقع في الواجهة وقد احتفل السكان الأصليون بها متبركين بانتسابها للقرآن ونبي الإسلام - صلى الله عليه وآله وسلم -؛ كيف لا وهي تلك الملة التي أخرجتهم من الظلمات إلى النور وأذهبت عنهم الرجس ودفعت عنهم العدوان والتسلط من قبل الاعداء الذين أذلوهم زمناً طويلاً؟

ومما شجع على انتشار اللغة العربية في أوساط الأمازيغ والعرب تواصل هجرات الدعاة من التابعين - رضوان الله عليهم- وجموع العلماء والدعاة والأمراء والقادة؛ وقد قويت تلك الحركة في عهد عمر بن عبد العزيز -رضي الله عنه- ووالیه إسماعيل بن عبيد الله بن أبي مهاجر الذي «رغب البربر في مزايا الإسلام فاعتنقه من بقي منهم مشركاً، أو مسيحياً، أو متردداً، وعكف على تمكين الإسلام من نفوس المسلمين الجدد، بنشر الثقافة الدينية، وتعليم الناس الفرائض، والحلال والحرام، وبفضل عدم انقطاع سبيل الهجرة إلى المغرب، هجرة الرجال وتنقل أرباب المذاهب والأفكار، تعلم السكان مبادئ الدين والعربية وحفظوا القرآن» (لقبال، ١٩٨٤، ص ١٣٢)، ممّا استلزم سلامة العيش والتعايش بين أولئك الأقوام والأجناس والألسن بفضل وحدة الدين الإسلامي وسماحته؛ «لقد تمثلت قوة العربية كأداة لانتشار الإسلام في وصف الأحداث والتعبير

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-02-05]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1436.22.1.1.1]

عن المشاعر الملتهبة، أما في موضوع العلاقات المنطقية فلربما كانت أقل درجة من اللاتينية مثلاً. لكن بما أن العربية كانت أداة جيدة للتعبير عن النظم الفلسفية الكبرى، فلا شك إنها قادرة على التكيف بالفلسفة الحديثة. ذلك كان رأي أحد المستعربين من الدانمارك الذي شارك في الرد على أسئلة الاستفتاء. والواقع الحاضر يؤيد فكرة الترابط بين الدين والعربية لكونها شريكة الإسلام في سموّه ومقامه، وأنّ حركة التعريب لا يمكن فصلها عن حركة نشر الإسلام، لأنّ الكتاب المنزّل جاء باللغة العربية التي بلغت مكانة أصبحت معها كل ترجمة دنساً لقداستها. ولهذا وجب على كل من اعتنق الإسلام تحصيل العربية».(المنجي الصيادي، ١٩٨٤، ص٥٢٤-٥٢٥)

ويعرف من هذا مدى سلامة التلقي الفطري الذي تعلّمه الخلفاء - رضوان الله عليهم - من حضرة النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- والذي لقنّوه الأتباع والتابعين ثم نقلوه إلى إخوانهم في الدين من الأمازيغ ببلاد المغرب. كما أنّ السماحة والتربية النموذجية التي عُرف بها الفاتحون والدعاة أوصلت الكلمة الطيبة إلى كافة الخلق على هذه البسيطة.

ومهد الفتح الإسلامي لمرحلة كبرى في تاريخ اللغة العربية؛ إذ بلغت الآفاق وصدحت بها أصوات الأعاجم والامازيغ وغيرهم من الروم والفرس والوندال ... «والملاحظ أن العربية قد استجابت لما هو مطلوب من لغة خصصت للوحي، فكانت اللغة المناسبة لنقل الفكر الإسلامي، لما أضفى عليها من قدسية بداية من نزول الوحي، فإذا كانت العربية كأداة نقل للإيمان قد تقدمت وارتبط رقيها مباشرة بمراحل النزول، فإنها كتعبير عن الحضارة الإسلامية لم تعد ملكاً للمسلمين وحدهم، مهما غلب عددهم. وبذلك اكتست العربية صبغة الأداة العالمية لنقل الحضارة بكافة مظاهرها ومناحيها»(م.ن، ص ٥٤٤.)

رغم ذلك فإن العربية العتيقة حافظت على سلامتها في القرون الأولى؛ حتى إن لهجاتها كانت فصيحة يعتدّ بها في الاستعمال والاستشهاد، وهو مظهر صحي للتعدد اللغوي الذي لايثير الرعب وسط المتكلمين بالعربية وغيرها؛ كالذي تحياه معظم الدول العربية اليوم من تنوع لساني غريب يتعايش إلى حد ما، تعايش لا يؤدي إلى الارتياح في الغالب... ولمزيد من المقارنة بين حال العربية مع لهجاتها قديما وحالها اليوم وسط اللهجات ننصح بمطالعة البحوث المختصة في ذلك(الحباس ،٢٠٠٨، ص ٢٧٥-٢٩٥).

٢. الطفل وتربيته بين محورية التعلّم وتوجيه سياسة التعدد اللغوي في الجزائر

لا يمكن التفكير في الظاهرة المدروسة ههنا إلا برعاية النقطة المركزية في الكشف عن الداء وأسبابه وحيثياته وكذا اقتراح الدواء؛ هذه النقطة التي تتعلّق بالفئة الخاصة والتّي تتطلّب النظرة الواقعيّة والاستشراف على حد سواء ألا وهي فئة الأطفال التي تعدّ المنشأ الأول لمعطيات الظاهرة من تعدد لغوي ولغة جامعة، وهلم جرا.

إنّ كل البحوث العالمية الجادة لا تنطلق من التكرار أو التراكم في دراسة تلك الموضوعات، وإنما يقوم منهجها على استثمار النقد السابق والنتائج المعللة وبناء الرؤية المستقبلية القائمة على تخطيط رصين رزين؛ من هنا فإنّ تربية الطفل تربية لغوية، مناطة بكل بحث يرقى إلى هدف النجاح، الذي يوصلنا إلى تجاوز الأزمة المدروسة.

يعالج الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح المسألة من باب الرصيد اللغوي للطفل العربي؛ إذ يسأل فيقول «الصعوبة في تحصيل الملكة اللغوية لا تتركز فقط في صعوبة تعلّم القواعد النحوية بل أيضا في عدم استجابة المادة اللغوية التي يجدها

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-02-05]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1436.22.1.1.1]

المتعلم في نصوص الدرس اللغوي وغيره لما يتطلبه التعليم الناجح المفيد، فبم تتصف هذه النصوص التي تقدم للطفل الصغير؟»(الحاج صالح، ٢٠١٠، ص ١١)

من هنا نعلم جذور السلبيّات التي تتعلق بالتربية اللغوية لدى الطفل باعتباره النواة الأساس في تعلم اللغة وسائر المعارف التي لا تستوعب إلا باللغة؛ ومن السلبيات تشحين ذهنه بقاموس مكثّف مضغوط تختلط فيه المواد الضرورية والكمالية والتي تفوق مستواه الذهني والعمري والنفسي...، فتترسب تلك المواد محفوظة متراكمة دون تفعيل صحيح، بل وتزداد خطورتها لما تمتزج بلغة ثانية – تلك اللغة الأجنبية عن اللغة الوطنية - ناهيك عن العامية واللهجات وربما لغات أخرى؛ وثمة أمل قائم دوما لكنه يحتاج إلى تنمية ورعاية أكثر مما هو عليه حال الطفل الجزائري الضحية، إذ نجد بعض الرؤى التي تتفاءل مهما تعانيه الساحة التربوية من مشاكل وأزمات (نويوات، ٢٠٠٨، ص ٨)

وعليه فالخطورة هذه محط أنظار المعالجين للعمليات اللغوية معالجة فورية لا تردد فيها؛ بقصد إنقاذ الطفل قبل وقوع الطامة اللغوية المعقدة من تعدد لغوي ذي شبكة لا يقدر الطفل على استيعابه، ويواصل الحاج صالح قوله «كإجابة عن هذا التساؤل يجدر بنا أن نذكر ما قاله الاختصاصيون من المشرفين على مشروع الرصيد في مثال لهم تحت عنوان "المشاكل التربوية اللغوية المتعلقة بالرصيد الذي يتعلمه الطفل العربي"، جاء فيه مايلي:

إن تصفح العلماء لحصيلة المفردات التي تقدم الآن للطفل في الوطن العربي قد أظهر عيوباً ونقائص كبيرة في هذه الحصيلة، أما من حيث الكم فقد لوحظ أن الكمية من الألفاظ التي "يتناولها" المتعلم، بالنسبة إلى مدرسة مغربية أخذت كنموذج في السنة الرابعة من الإبتدائي فقط، من خلال الدرس ومطالعاته للكتب المقررة يبلغ ما يقرب من ٢٥٠٠ مفردة. فهذه الكثرة الهائلة إذا اقترنت بكثرة التراكيب وتنوعها تنوعا كبيرا من جهة، وغرابة المفاهيم التي تحملها هذه الألفاظ الجديدة بالنسبة للطفل من جهة أخرى صارت دافعا قويا على توقف آليات الاستيعاب الذهني للطفل، أما من حيث الكيف فقد لوحظ أيضاً أن الكثير من هذه المفردات لا تستجيب لما يحتاج إليه الطفل في حياته اليومية، والمستجيب له بالفعل في هذا الميدان وفي الوقت الراهن هو، مع الأسف، ما يجده في اللغات الأجنبية وما يقتبسه من العاميات المحلية»(الحاج صالح، م.ن، ص ١١-١٢)

فظاهرة تضخم الرصيد اللغوي تؤثر على ذهن الطفل، وترهقه إرهاقا لا علاج بعده؛ فتتراكم في ذهنه مواد هائلة وتحفظ فيه حفظا مقحما ومجحفا يجعل آليات الاستيعاب لديه تتوقف. فينتج عن ذلك عسر التجاوب بين الطفل وحاجاته ورغباته وما يُطلب منه، بل يزداد الامر سوءاً عندما يجد الطفل نفسه مجبورا على امتلاك تعدد لغوي هائل في الاستعمال اليومي، وبالأخص فيما يتعلّق بعملية الحفظ والترداد فقط.

ويذهب الدكتور صالح بيلعيد مذهباً بعيداً في تحليل الوضع الخاص بالطفل الجزائري في ظل التعدد واللغة الأم بقوله :«إن الطفل الجزائري في أية منطقة كان، فهو إما أحادي اللغة وثنائي التأدية: عربية دارجة + عربية فصحى. أو ثنائي اللغة: عربية دارجة(عربية فصحى) + فرنسية. أو ثنائي اللغة: أمازيغية + عربية دارجة(عربية فصحى) أو ثلاثي اللغة: أمازيغية + عربية دارجة(عربية فصحى)+ فرنسية. ويعد الأمازيغ حقيقة متعددي اللغات بما فيهم الأميّون؛ لأن التعدد يعود للكلام دون المؤهلات اللغوية والخصائص الفكرية، والازدواجية ثابتة مع الطفل قبل سن التمدرس.

وبحكم هذه السوق اللغوية التي يمكن أن نسميها اللغوية الليبيرالية، فأي اللغات أم؟ هل العربية الفصحى لغة أمّ؟

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-02-05]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1436.22.1.1.1]

في الحقيقة إن اللغة العربية الفصحى ليست لغة أم فلا تسمع في الحياة اليومية ولا في البيوت، بل تتعلّم في المدرسة، وكون لهجاتها مستوى أدنى يمكن عدّها لغة أم باعتبار التقارب الدلالي والصوتي والجذري وكذلك بحكم دستوريتها ومؤسساتها أضحت اللغة الأم الثانية بالقوة بعد الدارجات فهل لغة أم رقم ٢».

ومن هنا نجد الطفل الجزائري مرتبط بمركب لغوي خليط ذي موارد متعددة، غالباً متناقضة في عمومها؛ ولذلك سيكون الأمر أخطر إن لم تتعاون الجهات الرسميّة لوضع البرامج المدرسية والإعلامية، بهدف إعداد طفل جزائري بعيد عن الذبذبة والهلهلة التي تطيش بالذهن لدى الناشئة، وعليه فالمسؤولية تقع على عاتق صنّاع القرار الرسميين والإعلاميين والمبرمجين وليس على عاتق المربين والأسرة. لأن الآليات العلمية والمنهجية اصبحت سهلة المنال يمكن استخدامها في استدراك هذا الخطر قبل فوات الأوان ؛ وربما من اجل تفويت الفرصة أكثر على الأجيال اللاحقة.

لا اختلاف بين العقلاء في سائر الحضارات والمناهج العالمية على أن المحور الذي يُعتمد عليه في النجاة من كوارث الظواهر المشينة التي تلحق باللغة هو العناية بالطفل؛ وكم هي التوصيات والبدائل والحلول التي اثيرت وقامت قائمتها أو أُخمدت في المؤتمرات والمراسيم القانونية والمحافل العلمية والمصنفات قديماً وحديثاً، ومع هذا كلّه نجد أنّ الأزمة قد تعقّدت. أمّا إحدى الاسس المفيدة في هذا الموضوع هي التأكيد على "طرائق تعليم اللغة للأطفال". سنحاول فيما يلي تبيان بعض الطرائق المتبعة في تعليم المهارات اللغوية الأربع: المحادثة والاستماع والقراءة والكتابة آخذين بالحسبان التدرج في تعليم المهارات اللغوية؛ بعبارة اخرى، يكون البدء بالتدريب على المحادثة والاستماع في رياض الأطفال قبل الانتقال إلى تعليم القراءة والكتابة في الحلقة الأولى من مرحلة التعليم الأساسي انطلاقا من أنّ مرحلة الرياض إنما هي تنمية الاستعداد لتعليم القراءة والكتابة في المرحلة التالية»(السيد، ٢٠١٠، ص ٢٧-٢٩)

وهي مهارات تؤكد على التدرج واكتساب المعرفة لاستلهام اللغة استلهاما يؤهّل الطفل إلى مرحلة اكتساب حصانة منهجية ونفسية قويّة ؛ قبل أن يقع في شبكة التعدد اللغوي الذي يكون في الغالب عبئا ثقيلا على القدرة الذهنية ووواردا إضافيا في أحسن الأحوال؛ من هنا، نستنتج أن تلك المهارات عندما تُقدم للطفل في أحيانها متدرجة متقنة تساعده على تفعيل الرصيد اللغوي تفعيلا منظما فاعلا يساعده على الاندماج في التواصل الاجتماعي الإيجابي.

إنّ الأصل في منهل الاكتساب اللغوي في واقع الطفل هو الأم «فالطفل بعد ولادته يسمع لغة الأمّ مرارا وتكرارا مدّة عام تقريبا قبل أن يأخذ في الكلام تدريجيّا. ولهذا فإنّ الأطفال الذين يجلسون اليوم أمام شاشات التلفزيون أكثر من جلوسهم في قاعة الدّرس بالمدرسة أو مع والديهم، يتعلّمون اللغة أكثر من أيّ مصدر آخر» (القاسمي، ٢٠١٠)

فالعلاقة إذن هي علاقة تلازميّة بين الأم والأسرة والإعلام؛ ثمّ يواصل الأستاذ علي القاسمي قوله: «يعدّ التّعليم والإعلام في طليعة وسائل نشر اللّغة، فكلما ازداد سماع الطّفل اللّغة الفصيحة في قاعة الدّرس، أو أمام شاشات التلفزيون، ازداد اكتسابه لها وتحسّن أداؤه بها(م.ن)

فالواقع اللغوي المتعدد للطفل يمكن أن ينتظم بتغليب الأصل في خيارات اللغة بحسب التفاوت والترتيب؛ إذ يحسن بالأم أن تكون متحفظة في استعمال القاموس المتداول مع طفلها، حيث تنتقيه أشد الانتقاء مع تقديم الخيار الأصيل والأساس؛ كأن تختار له اللغة العربية أو غيرها، علما أنها هي مسؤولة عن نتائج ذلك الخيار على كل المستويات النفسية والاجتماعية والذهنية وآثار ذلك على شخصية طفلها.

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-02-05]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1436.22.1.1.1]

٣. ضبط المصطلحات ابتداء

المصطلح أصالة

إنّ المبدأ الرئيس هو معرفة الفاعليّة التي يؤديها المصطلح المختار بين المصدر والهدف؛ والكلام في هذا المجال كثير، لكننا سنشير هنا إلى بعض المعطيات الاساسيّة التي ترسم كيفيّة صناعة المصطلح وتوظيفها الدلالي في الحقل المنوط به استعمالاً وتداولاً.

نسوق في هذا المجال تعريفات للدكتور عبد السلام المسدي وهو يعالج البناء التأصيلي للمصطلح فيقول: «المصطلح: صياغة المصطلح لها ثوابت معرفية مطلقة ولها نواميس لغوية عامة كما لها مسالك نوعية خاصة، وكل ذلك يمثل الآليات التي تقتفيها المصطلحات العلمية والفنية. فأما الثوابت المعرفية فتتصل بطبيعة العلاقة المعقودة بين كل علم من العلوم ومنظومته الاصطلاحية، وأما النواميس اللغوية فتقتضي تحديد نوعية اللغة التي تتحدث عن قضية المصطلح ضمن دائرتها وما تختص به من فروق تنعكس على آليات صياغة الألفاظ ضمنها. فإذا جئنا إلى المسالك النوعية فإننا نعني بها مجال الاختصاص المعرفي الذي نتناول آلياته الاصطلاحية بالدرس، إذ رغم ما بين كل حقول المعرفة من قواسم مشتركة تحكم موضوع توليد الألفاظ الدالة على المفاهيم الدقيقة داخل اللسان البشري الواحد فإن لكل فن من أفنان المعارف خصوصيات لا غرابة أن تأتي على الأعراف اللغوية بكثير من المؤالفات الواسمة تختلف من حقل علمي لآخر»(المسدي، ١٩٩٤، ص١٠)

فالأسس العلمية والأصول المنهجية هي المنطلق في وضع المصطلح الخاص بموضوع اللغة الجامعة والتعدد اللغوي وسواهما؛ مع ضرورة الاختيار الأسلم في تفعيل المصطلح وتدقيقه عند الاستعمال والحاجة الفورية لحصر المصطلحات.

وهو أول مأخذ نلج من خلاله الى القضايا المدروسة في المحاور التي يقوم عليها بحثنا؛ فلا يمكن لهذه الكثرة من المصطلحات المشتقة والاشتقاقية أن تحيلنا إلى النتائج السليمة من نقد الظاهرة محط الدراسة في المنتدى؛ لأنها حشود قد تذهب بماء الرصانة العلمية وتبعدنا عن الهدف .

و يضيف المسدي قائلا «وبين القاموس العام في اللغة والرصيد الاصطلاحي الخاص بكل علم ينبثق توازن متكافئ يأخذ فيه كل طرف من الآخر بما لا يُدخل الضيمَ على دلالات اللغة في وظيفتها الإبلاغية ولا على مفاهيم المعارف في وظائفها النوعية من حيث هي خطاب علمي. وعلى عماد هذه الحقيقة تنزرع قاعدة فرعية تتمثل في أن توفّق المصطلح في أداء المتصوّر المنشود يوكَلُ أمره إلى الاستعمال ومدى ما يحوط به من رواج. ومعلوم أن للاستخدام اللغوي نواميسه التي تتحدد بضوابط التركيب والإيقاع ومقوّمات الرشاقة، وهو ضرب من البحث قائم بذاته عند أهل الدراية لا يستوفي حقه إلا بتعاضد المعرفة اللسانية والخبرة الأسلوبية حتى يتحقق الانسجام بين مخارج الحروف وبنية الحركات وتركيبة المقاطع، ثم يتطابق الكل مع خصائص الإيحاء الدلالي.

فالمصطلح يُبتكر فيوضع ويبث ثم يقذف به في حلبة الاستعمال فإما أن يروج فيثبت، وإما أن يكسد فيختفي، وقد يُدلى بمصطلحين أو أكثر لمتصوّر واحد فتتسابق المصطلحات الموضوعة وتتنافس في "سوق" الرواج ثم يحكم التداول للأقوى فيستبقيه ويتوارى الأضعف»(م.ن، ص ١٤-١٥)

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-02-05]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1436.22.1.1.1]

التعددية اللسانية

عرض الدكتور محمد يحياتن مصطلح "التعددية اللسانية" عرضاً تاريخياً واصطلاحياً تأسيسياً، بقصد بيان العلاقة بين اللغة في تعددها من حيث المصدر والخلفية المعرفية والغاية في الاستعمال والقصد وحقل اللسانيات في فروعها وبالأخص اللسانيات الاجتماعية، بقوله «عندما نستقرئ تاريخ الأبحاث التي عنت بظاهرة التعددية اللغوية، تستوقفنا فيما نرى أبحاث فرجسون[٢] الذي شحذ مفهوم الثنائية اللغوية[٣] في نهاية الخمسينات، ويعني به تعايش تنوعين لغويين في صلب الجماعة الواحدة، وقد أطلق على أحدهما صفة "التنوع الرفيع"[٤]، أما الثاني فيسميه بـ "التنوع الوضيع"[٥]. وقد بنى تصوره هذا بعد إعمال النظر في بعض الأوضاع اللغوية التي تسم بعض البلدان كالبلدان العربية حيث تتعايش العربية الدارجة مع الفصحى واليونان حيث تتعايش اللغة الإغريقية العامية[٦] والإغريقية الصافية[٧]»(يحياتن، ٢٠٠٦، ص ٧٣)

فالعلاقة بين التعدد اللغوي واللسانيات الاجتماعية لها جذور تاريخيّة وواقعيّة في البحوث العالمية؛ وعلى هذا الاساس فكل تعدد، كالتعدد اللغوي في الجزائر أو الدول العربية مشروط بحثه ونقده في ضوء اللسانيات الاجتماعية، ذلك لأن آفاق الاستعمال المتعدد نابعة من طبيعة المجتمع المعني الذي تصدر عنه المواد اللغوية المتعددة، فتكون مواد التلقي اللغوي المتعدد مشبعة بثقافة المصادر اللغوية المتعددة، كخلط ما بين الجذور الفكرية للهوية العربية في اللسان العربي والجذور الأخرى القابعة خلف المصادر اللغوية في اللسان العامي واللهجي والأجنبي – مثلا – في الجزائر اليوم.

كما أنّ بيان الاحتكاك اللغوي من حيث انتشاره وخصائصه في أي لغة مقابل لغات ولهجات اخرى موصوف بتوصيفات واقعية معاشة يذكرها الأستاذ يحياتن بقوله «وتتميز الأوضاع هذه القائمة على الثنائية اللغوية ببعض السمات من بينها:

أ ـ أولاهما التوزيع الوظيفي: فالتنوع الرفيع يستخدم في المسجد والآداب والخطب الرسمية والجامعة والمدرسة إلخ. في حين يستخدم التنوع الوضيع في الأحاديث العادية اليومية والأدب الشعبي إلخ.

ب ـ السمة الثانية تكمن في أن التنوع الرفيع يحظى بصيت اجتماعي على عكس التنوع الوضيع الذي هو موضع استهجان.

ج ـ السمة الثالثة قوامها أن التنوع الرفيع يسخّر لإنتاج أدب معترف به ومحط إعجاب.

د ـ التنوع الوضيع يُكتسب بشكل طبيعي إذ هو اللغة الأولى التي يكتسبها الناطقون، في حين أن التنوع الرفيع لا يُكتسب إلا في المدرسة.

هـ - يرى فرجسون بأن هذه الحالة اللغوية تمتاز بالاستقرار.

و- يتصف التنوع الرفيع بكونه مقعداً (خاضع لقواعد ونظام كتابة، على خلاف التنوع الوضيع.»(م.ن، ص ٧٣-٧٤)

---

1. Fergusson.
3. diglossie
4. variété haute or high variety .
5. low variety or basse variété.
6. Demotiki.
7. katharessouva.

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-02-05]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1436.22.1.1.1]

إنّ المطلوب من أهل النقد والمدرّسين وصنّاع القرار الالتزام بهندسة صناعة المصطلح التي تفيد ضبط المنظومة المصطلحية والمدوّنة المفهومية لسائر المفردات الموجودة في حقل الدراسة العلمية للتعدد اللغوي واللغة الجامعة وغيرهما من المفردات.

اللغة الأم

لقد استحدث اليونسكو يوما عالمياً للغة الأمّ منذ سنة ٢٠٠٠م، والهدف منه حماية تراث العالم من الانقراض، حيث رأت هذه الشرعية الدولية، أنّ تعلمّ اللغة الوطنية فرض عين، وتعلّم اللغة الأجنبية فرض كفاية، فأعطت للّغة الأم كل الأهمية، إذ من حق كل الأفراد في العالم أن يأخذوا نصيبا من العلم بلغاتهم.

و قد نشأ مفهوم اللغة الأمّ[٨] مع نهاية الحرب العالمية الثانية حيث بدأت الدول المستعمرة تنال استقلالها، في الوقت الذي كانت فيه الأقليات الأوربية تنادي بتعلّم لغاتها الأم، وتمّ الحديث في ذلک الوقت عن الهوية والوحدة الوطنية والشخصية والتنمية الشاملة ونظام الحكم، حيث بدأت الدول الحديثة الاستقلال تشعر بتعزيز اللغة الأم بعد أن تضاءل دورها أو كاد يتلاشى أيام حكم المستعمر، وذلك من خلال اعتماد لغة رسمية للوطن ولغة تعلمّ وتعليم(جماعة من المؤلفين، بيروت: ٢٠٠٠ :٧) وجرت في بعضها صراعات حول ترسيم اللغة الأم في منظومة التربية والتعليم »(بلعيد، ٢٠٠٤، ص ٣)

و انطلاقا ممّا سبق نستنتج ما يلي :

ــ أنّ اللغة الأم هي اللغة الوطنية والمقدّمة على غيرها

ــ أنّ نهاية الحرب العالمية الثانية تعدّ فيصلا تاريخيّا لترشيد هويّة الشعوب بفعل الأزمة الاستدمارية وتبعاتها؛ وهذه عبرّة يجب أن تعتبر بها كل الشعوب خاصة الشعوب العربية؛ ويمكن ان نذكر الجزائر كمثال بارز على مانقول حيث عانى هذا البلد دولة وشعبا من الاحتلال البغيض الذي حاول ضرب اللغة الأم واللغات الأخرى ومازال يعاني...

وهذا من المصطلحات الاصيلة التي يجب الفصل في مدلولاتها وعدم تجاوزها إلى غيرها إلا بعد معرفة ما تختص به من دلالة تخالف غيرها من المصطلحات الأخرى؛ كما أنّ المسح التاريخي الموجز هذا علامة على صحة التأصيل لأي مفردة من شأنها أن تفعل فعلها في توجيه الفهم أو تشظيه في أحيان كثيرة، أو إيقاع التفاضل بين تلكم المفردات.

و لقد ظهر الاهتمام باللغة الأم(العربية الفصحى) للتخلّص من اللغة التركية عند العرب، فكانت المناداة لذلك بمصطلحات عديدة كـ: لغتك/ اللغة الفطرية/ اللغة الأصلية في مقابل: الإفرنجية/ لغة برانية. واعتبرت الفصحى لغة أم مقدسة ومميزة، بل عدّت عند بعض الباحثين سبيلاً من سبل الانتماء الوطني، وهذا ما نجده في كتابات عبد الله النديم في: "التنكيت والتبكيت والطائف والأستاذ"-ع/ محمود فهمي حجازي، اللغة العربية في العصر الحديث قضايا ومشكلات، القاهرة: ١٩٨٨، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ص٣٠. وكذلك عند المرصفي الذي يربطها بالأمة، ويعدّ مفهوم الأمة عنده تركيب من: اللسان والمكان والدين.

ومع هذا كله فإنه لم يحصل ايّ توافق نهائي حول مصطلح اللغة الأم، بعدما أطلق جزافا على اللغة الرسمية واللغة الوطنية واللغة الجهوية، وكل تعريف كان مصاحبا وجهة نظر إيديولوجية، ولذلك تشعّب ونال أبحاثا كبيرة؛ خاصة عند

8. Langue mère

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-02-05]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1436.22.1.1.1]

الباحثين الغربيين، حيث أجروا دراسات مهمّة بُغية تحديدها بعدما أخذت تسميات: اللغة الأم/ لغة المنشأ/ اللغة الوطنية/ اللغة القومية/ اللغة الجهوية... هذا مع ظهور الطبقات الشغيلة في أوروبا والمد القومي وظهور الحكم الكنفدرالي. بل وصل الأمر أن حلّ في بعض المناطق نزعة للاستقلالية(الحكم الذاتي) تحت مظلة الخصوصيات اللغوية، كما ساعدت العوامل الجغرافية وفروق البيئة ظهور الاهتمام باللغات الأم. وهكذا نال التعريف دلالات متنوعة، بتنوع الباحثين في هذا المجال ونشير إلى بعض التعريفات».(بلعيد، ٢٠٠٤، ص ٥)

يعالج الدكتور صالح تقلبات المصطلح المختلفة في تحديد الدلالات المرادة والمهزوزة، مع الاختلاف الكبير بين الآراء هنا وهناك؛ وهو تذبذب لايخدم المصلحة الوطنية والتوحد، ولهذا يطلب من مستعملي المصطلحات الحذر والاحتياط في الإطلاق والتداول وما ينجم عنه من مخاطر في الذهنية التأويلية وانعكاساتها الخطيرة.

ثم يذلل الطرح حول ذلك المصطلح بتفسير دقيق يعتمد فيه المنهج المستوياتي للظاهرة "اللغة الأم" إفهاما للمتلقي والمستعمل والمتداولين بقوله «- ويمكن تبسيط مستويات لغة الأم التي تتحدد في اتجاهين هما:

١ ـ اللغة العامة التي يتعلمها الفرد في البيت بهدف التواصل العادي وهي مكتسبة.

٢ ـ اللغة العلمية والتكنولوجية ويتمّ تعلمها بشكل اختياري ووفق قرارات فردية وحكومية، وتعد زيادة في رأس المال البشري للفرد وللمجتمع ،ولها تعريف ذات نظرة خصوصية. ونلاحظ أن كل التعريفات تؤكد الآتي:

- أن تكون لغة طبيعية ناطقة.
- أن تتداول في الوسط العائلي أو المحيط أو المدرسة.
- أن ينص دستور البلد على ترسيمها أو وطننتها .
- أن يكون لها نظام خطي.
- أن تدرّس في المدرسة».

«إن تعليم اللغة الأم يستند إلى قدرات المتعلم المكتسبة لكي يجعله يكتشف معطيات جديدة مما يعني أن بناء ديداكتيك اللغة الأم قائم على معطيات لسانية وسيكولوجية... ومرتكز على المقوّمات التالية:

١ ـ ربط استعمال الأشكال اللغوية بالنوايا التواصلية بدل الاقتصار على جمل مجزأة ترتد آليا.

٢ ـ ملاحظة الكيفية التي تواصل بها الطفل مع محيطه.- عبد العزيز الفاربي وآخرون، معجم علوم التربية مصطلحات البيداغوجيا والديداكتيك، الرباط: دار الخطابي للنشر، سلسلة علوم التربية، العدد: ٩-١٠.

وهكذا فإن الطفل عصامي في اكتسابه الأول للغة؛ لأن له من الطاقة ودقّة الملاحظة وحبّ المحاكاة ما يغنيه عن التلقين بواسطة أمّه أو معلم مباشر، فيتّفق علماء النفس على أن الطفل ما إن يدخل عامه الثالث إلا ويكون قد اطلع على خصائص اللغة الأولى وبنياتها الأساسية ومخارج حروفها دون تلقين خارجي وبذلك المخزون يتواصل لقضاء حاجاته الآنية البسيطة، ثم ينحو ذلك الرصيد من بيئته الكبرى، وهو ما يوظف في البيت والشارع والمدرسة.

وأمام ما نعيشه في الجزائر، فلدينا لغتان أم، فهل هاتان اللغتان تدرسان بشكل جيّد في المدرسة والجامعة ؟

إن اللغة الأم رقم ٢ قد وقع الاهتمام بها، وأقيمت لها مؤسسات تعمل على ترقيتها ومع كل ما قدّم لها فهي تعيش ضعفا فادحا على مستوى الأداء السليم، وهذا ضمن معطيات حضارية مؤقتة، أضف إلى ذلك التوزّع القومي العربي الذي

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-02-05]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1436.22.1.1.1]

يعمل بتؤدة من أجل تطوير هذه اللغة، وضمن معطى شرقي قادم من مصر وهو التسامح اللغوي الذي لعبت فيه اللهجة المصرية عبر فضائياتها، وساهمت فيه الفضائيات اللبنانية، وعملتا على مسخ لغوي يزيد الفجوة بينها وبين الدارجات ».(صالح بلعيد،٢٠٠٤، ص ٥)

ويقدم الدكتور محمود السيد منحى آخر للغة الأم معتمدا الرؤية الخاصة بالفرد العربي وشخصيته داخل المجتمع وعلاقة ذلك بمقومات الشخصية كلها؛ حتى أنه أطلق على اللغة الأم اسم الوطن نفسه، وفيه بعد عميق للطرح تجاوزاً لبعض المفاهيم والرؤى الضيقة الأخرى التي تتجلى في بعض الدول العربية التي تتنازعها لغات ولهجات تفريعية لا تكاد تنحصر...

«اللغة الأم هي هوية المرء، وهوية الأمة التي ينتسب إليها، وهي محور المنظومة الثقافية المتجذرة والأصيلة بلا منازع، وإذا ما فقد أي شعب لغته الأم فإن ذلك سوف يؤدي لا محالة إلى طمس ذاتيته الثقافية، وفقدانه هويته المميزة لأن اللغة جنسية من لا جنسية له، إنها وطن، ومن فقد لغته فقد وطنه.

ولا يعني الحفاظ على لغتنا الأم وثقافتنا التقوقع وعدم الانفتاح على لغات أخرى واكتساب ثقافتها، وتعرُّف إسهاماتها في مسيرة الحضارة البشرية، لأن في هذا الانفتاح وذلك التعارف إغناءً لثقافتنا دون أن يعني ذلك التفريط باللغة الأم، وإنما يعني الانفتاح الإيجابي، فالهوية العربية تتغذى من الموروث الثقافي العميق الجذور والممتد في تاريخنا العربي، نظراً للدور الذي يمكن أن تؤديه اللغة الأم في التنمية الشاملة والمستدامة للمجتمع من طرف، وصياغة ملامحه وهويته وتماسكه من طرف آخر»(السيد،٢٠٠٩، ص ١٣-١٥)إنّ مقاله في الحقيقة يدل على اعتدال يعزز ماذهب إليه غالبية الباحثين كالذي قدمه الدكتور بلعيد وغيره ممن لم نسق آراءهم لعدم الانسجام بين تلك التفصيلات ومقام البحث.

الأمن اللغوى

لا حاجة للمنتسب الى اللغة العربية للامن اللغوي إن حافظ على سلامة لسانه وقوّمه بالتدرب على النطق العربي الفصيح والبليغ؛ وهذا شيئ ليس بالعسير إلا لمن استعسره. وقد اثبتت التجربة الفعلية هذا الامر خاصة مع من ملك العزيمة والارادة فنطق وتكلّم به ومارسها. هذا وقد حفظ الله سبحانه وتعالى هذه اللغة في كتابه العزيز فلا يحتاج العربي الذي ينطق بها ويكتب بها ويمارسها تربويا ورسميًا إلى تكريس سياسة الأمن اللغوي بتلك الصورة التي تتحدث عنها المصادر المختلفة، سواء أتعلق الأمر بالعربية وأمنها أم بأمن أي لغة أخرى؛ طبعا مع بعض الاختلاف ذلك أنّ أمن اللغة العربية يكمن في ممارستها والنطق بها وتداولها على الألسن ؛ فأمن اللغة هو تفعيل المخططات والنظريات وتسخير الأدوات والوسائل بالرعاية والديمومة خدمة للطفل المتكلم بتلك اللغة.

التسامح اللغوى

يشيع مصطلح التسامح اللغوي شيوعا يدعو إلى ضرورة إيضاح المفهوم أكثر وتحديد مساحة الدلالة التي يرمي إليها في الاستعمال الخاص بالسياق اللغوي حتى لا يقع اللبس بين محمول الدال وتوجيه بعض استعمالات المدلول إلى غير هدى؛ «هو مفهوم يعني ببساطة عدم رفض التحدث مع الآخرين باللغة التي يفهمونها حتى لو لم تكن لغتك. الألمان على سبيل المثال غير معروف عنهم التسامح اللغوي، فالألماني يرفض التحدث معك بأية لغة كانت إلا الألمانية، وكنت أعاني كلما زرت ألمانيا التي أعشقها وأعجب بها وبأهلها ـ من التخاطب بألمانيتي التي تعاني من الكسور والرضوض في كل أجزائها من

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-02-05]
[DOR: 20.1001.1.23834269.1436.22.1.1.1]

الأفعال والأسماء والحروف وحتى الظروف». (سعد بن طفلة)

فالدلالة مرتبطة بشرط التفاعل مع الآخر تيسيرا للتواصل والتبادل لا على حساب الهوية وخصوصيات الشخصية لدى المتسامح أو المتسامح له؛ وقد حدد أحد الدارسين خصوصيّات التسامح بكلمته الدقيقة والتي اختصرناها على هذا الشكل:«ولا يكتمل وضوح مفهوم التسامح في الثقافة العربية حتى يكون واضحا أن: احترام الآخر وحقوقه لا يستلزم قبول أو إقرار صحة أو مشروعية أفعال أو أقوال أو معتقدات الآخر التي هي محل التسامح وإنما ينصب الإقرار أو القبول على عدم مشروعية أو صحة قسر الآخر أو إكراهه على تغييرها أو التحول عنها أو عقابه عليه» (المصعبي)

٤. شروط نقد الظاهرة وضوابطها

أولا: اللغة العربية والعولمة

هذا العنوان هو من العناوين التي يجب على كل دارس للظاهرة للغوية المتعددة أن يضعه نصب عينيه؛ فيعينه على اجتناب كل لبس أو عارض مخل لحركته السليمة أو انحراف عن غايته المنشودة وذلك عن طريق التمسك بجدلية المحافظة على الهوية مع التعامل مع الآخر بلباقة ومرونة لاتضر بالأصل وتحثّ الذات على المحاورة والمجادلة بالتي هي احسن .

من أجل ذلك فإن أول شرط يجب النظر فيه والعمل بموجبه هو كيفيّة التفاعل مع العولمة بحكمة وذكاء ؛ تلك المقولة التي تحذّر الأطراف المعنية بخطورة التعدد اللغوي وتنبههم منه بالأخص العرب الذين هددوا ومازالوا يهددون في هويتهم ووجودهم، رغم الدعوة العالمية المتكررة إلى الحوار. وندرج ههنا سؤالا جاء عن لسان الكاتب هادي نهر في كتابه «اللغة العربية وتحديات العولمة" :"ماذا أعددنا لمواجهة العولمة اللغوية؟"و قبل الإجابة عن هذا السؤال لابد لنا من التأكيد على الامور الآتية:

أولا: إنّ العولمة اللغوية والثقافية واقع معاش، وقدر محتوم. فالعولمة ليست قضية اختيار فكري، أو ثقافي، أو سياسي، أو اقتصادي فنقبلها، أو نرفضها، بل هي قضية تتعلّق بكيفيّة التعامل معها، واستيعابها، وتحصين لغتنا وثقافتنا لمواجهتها.

ثانيا: إنّ العولمة وبالتحديد العولمة اللغوية والثقافية مقبولة إذا لم تكن اضطهادا فكريا للآخرين، وإذا ما توافقت مع تنوّع الثقافات والقيم وتعدّد الطموحات المشروعة، وقدّمت احترامها للثقافات والهويات الأممية المختلفة، وقبلت الآخر، وتخلّت عن شعار "أنا" السيد المطلق، واعترفت بالتعدد الثقافي واللغوي والحضاري، وأقرّت بأن الاختلاف بين الشعوب ثقافات ولغات أمر واقع، فإذا ما تحلّت العولمة بهذه الميزات، فإنّها ستخلق بين أمم الأرض وشعوبها كبيرها وصغيرها، غنيّها وفقيرها أفقا تنويرياً قادراً على صوغ خطاب حضاري قائم على العدل والمساواة واحترام الآخر.

ثالثا: إنّ العولمة اللغوية والثقافية يجب ألا تكون نقيضاً لتوجهات الحضارة العربية الإسلامية؛ لأن في صلب هذه الحضارة تراثا ثقافيا ضخما قادرا على تطوير بعض الجوانب المتعلّقة بمسار العولمة نفسها وضبط تحرّكها .

رابعا: إنّ لبّ العولمة وهدفها الأساسي قائم على جملة واحدة وهي :" إزاحة كل شيء غير قادر على المنافسة !"(هادي نهر، ٢٠١٠، ص ١٧، ١٨)

ـ فالعناية المكثفة التي لاقتها الدراسات العالمية حول العولمة ليست جديدة في حد ذاتها؛ حيث أنّ الطروحات العالمية

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-02-05]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1436.22.1.1.1]

القديمة موجودة في المعرفة الإنسانية تاريخيا، وإنما الاختلاف في طريقة التمظهر العولمي وتبعاته على المجتمعات وهويات الشعوب، وربما يكون الاختلاف شبه التام في هندسة المصطلح الذي يفيد المفهوم نفسه للعولمة.

ــ وجوب الطرح السلمي لموضوع العولمة وكذلك التعدد اللغوي، فالغريب أنّ الذي اتخذ صورة مضاعفة هو التعدد اللغوي وذلك عندما نقوم بعملية المقارنة بين الشعوب والمجتمعات والألسن على مستويات عديدة مختلفة منها مستوى القومية والعرق والدين والجهوية والقرار السياسي والعسكري والاقتصادي والخلفيات الفكرية والفلسفية.

ــ الحضارة العربية الإسلامية كفيلة بخصائصها ومخزونها التاريخي بتوجيه نفسها نحو مستقبل يحفظها وينجح التوجه السليم للاستعمال اللغوي؛ كما أنها حضارة تضم في أبجدياتها أسس التعامل مع الآخر.

ــ يختزل الدكتور هادي نهر العولمة في معنى فحواه إقصاء كل طرف لا يستطيع المنافسة؛ وهو صحيح؛ لكن الأخطر فيما أرى أن العولمة وروادها بشتى توجهاتهم وخلفياتهم وطرقهم لا يتيحون خيار التنافس النظيف والبريء لكل الشعوب والدول إلا بشروط تعجيزية وإقصائية واستعلائية.

ثانيا: الطفل محور صنع النجاة

تعتبر هذه المسألة شرط من شروط النقد الصحيح الجاد لظاهرة التعدد اللغوي؛ لأن تعلم الطفل هيكليّة اللغة السليمة في التواصل اليومي مع العالم من حوله هو أنجح سبيل في القضاء على الظواهر المشينة بمسار الرصيد اللغوي للطفل وتنميته على أفضل اساس بيداغوجي منهجي معرفي ناجع، حيث تعتبر صناعة الأهداف وتخطيطها العلمي المتقن الضابطة الاساس في هذا الموضوع. وهذا ما يشير اليه الكاتب محمود السيّد فيقول تحت عنوان "أهداف تعليم اللغة" ما يلي: تؤدي اللغة للفرد وظائف متعددة تتمثل في التفكير والتواصل والتعبير، وإن أهمية اللغة لا ترجع إلى كونها وسيلة للتخاطب والتواصل بين الجماعات والأفراد أو بين الفرد وذاته فقط، وإنما ترجع إلى كونها رمزا للهوية التي تميز شعبا عن شعب وتطبع حضارته ودرجة حضوره في مسرح الوجود والحياة، وصولا إلى الاستدلال على ما في أعماق النفس وتصورات الذهن. وثمة تلازم بين الفكر واللغة فمن لا عقل له ولا فكر فلا لغة سليمة لديه، ولا سبيل إلى اعتباره جزءا ملتحما بالكل الذي هو المجتمع» (السيد، ٢٠١٠، ص ٢٥).

«وعلى صعيد محدود واعتبارا لما يتضمنه اختيار اللغة في الحقل التربوي التعليمي في قطر ما من نتائج، فإن الطفل الذي نطق بعامية بلاده، ينبغي عليه أن يواجه بغتة لغة مكتوبة تختلف عن العامية التي يستخدمها بفطرته، فوجب عليه التدرب على اللغة الجديدة مع ما يكتسي ذلك الأمر من عسر، فطالب بعضهم بتعليم لغة البيت في المدرسة واغتنام الفرصة لتقريبها من الفصحى. وإذا تقفينا هذه الظاهرة وتأمّلناها، فلا شك أننا سنكتشف أوضاعا خاصة بكل قطر عربي. فقد تصير الازدواجية اللغوية ثلاثية(مثلا في الجزائر الفصحى، اللهجة العربية، اللهجة البربرية، الفرنسية»(المنجي الصيادي، ١٩٨٤، ص٥٢٥).

النتائج والاقتراحات

من خلال هذا البحث اتضح لنا مسائل عديدة هي الآتي :

أوّلا: إنّ اللغة ليست مجرد أداة تواصل بين الناس، بل تشارك بشكل أساسي في تحديد الهوية الجماعية التي تتحدث

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-02-05]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1436.22.1.1.1]

بها. إنّ فعل اختيار لغات معينة على أنها لغات وطنية أو رسمية يكتسي أهمية غير منازع فيها وله آثار مؤكدة على المستويات الأيديولوجية والثقافية.

ثانيا: إن اللغة الجامعة والتي هي أكبر من التعدد اللغوي في الزمان والمكان وشتى أصول الإنسان أياً كان؛ هي الحوار بالتي هي احسن والتعارف لا التناكر؛ هذا الحوار الذي يقدم الإنسانية على كل الاعتبارات.

ثالثا :علينا أن نضع أمام أعيننا محاولة إقناع اصحاب التوجهات الذين يركبون موجة التعصب السلبي والتشدد المقلق تجاه اللغة - ويتغلغلون بأفكارهم في عمق الأوطان العربية - ونعمل على توجيههم بالحكمة إلى خدمة مجتمعاتها بالخير والسلام وحملها على التعامل الحسن مع ذاتها والآخر.

رابعا: إنّ مثل هذه البحوث تعد مهمّة بطابعها المحلي والعالمي؛ لأنّها أصابت الهدف الأسمى لمحاورها، وخرجت بمسألة التعدد اللغوي من الإطارات الضيقة إلى إطارها الأوسع؛ والاهم من ذلك أن تخرج النتائج والتوصيات والاقتراحات المقدمة في كل البحوث من حيز النظريّة إلى دائرة التطبيق واتخاذ القرارات الرسمية المسؤولة عن تطوير اللغات العالمية وترقيتها نحو العطاء والتحاور والتلاقح والتكامل، لا وضعها في دائرة الإقصاء والتعالي والانطواء والعرقية والحمية الجهلاء...

المصادر والمراجع

١. **القرآن العظيم**

٢. بلعيد، صالح(٢٠٠٤)، اللغة الأم، والواقع اللغوي في الجزائر، (مقال)، **مجلة اللغة الأم**، دار هومة.

٣. الحاج صالح، عبد الرحمن (٢٠١٠)، الرصيد اللغوي للطفل العربي، وأهمية الاهتمام بمدى استجابته لحاجاته في العصر الحاضر (مقال)، **مجلة الممارسات اللغوية**، مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، جامعة تيزي وزو، الجزائر، العدد ١.

٤. الحباس، محمد(٢٠٠٨)، (مقال)، **مجلة اللغة العربية**، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، ع ٨.

٥. ديدوح، عمر، الصراع اللغوي في الجزائر: تأزيم الهوية، بالموقع: http://www.almarefh.net

٦. سعد بن طفلة (٢٠٠٥)، التسامح الغوى، **الشرق الاوسط**، السبت ٢٢ صفر ١٤٢٦ هـ ٢ ابريل ٢٠٠٥ العدد ٩٦٢٢.

٧. السيد ،محمود(٢٠١٠)، طرائق تعليم اللغة للأطفال (مقال)، **مجلة الممارسات اللغوية**، ع٠١، مخابر الممارسات اللغوية في الجزائر.

٨. السيد، محمود(٢٠٠٩)، لغتنا الأم العربية الفصيحة (مقال)، **مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق**، مج٨٤، ج١،سوريا: مطابع دار البعث.

٩. القاسمي، علي (٢٠١٠)، السياسة اللغوية في البلدان العربيّة: الإعلام نموذجاً جريدة القدس العربي، الموقع: http://www.manfata.com

١٠. لقبال، موسى(١٩٨٤)، **المغرب الإسلامي منذ بناء معسكر القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج سياسة ونظم**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط: ٣.

١١. المسدي، عبد السلام (١٩٩٤)، **المصطلح النقدي**، تونس: مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع.

١٢. المصعبي، عبد الملك منصور حسن، الموقع: http://mansourdialogue.org/Arabic/fikr2.html

١٣. المنجي الصيادي، محمود، **التعريب وتنسيقه في الوطن العربي**، مركز دراسات الوحدة العربية، ط٤، لبنان: ١٩٨٤.

١٤. نهر، هادي (٢٠١٠)، **اللغة العربية وتحديات العولمة**، إربد-الأردن: عالم الكتب الحديث.

١٥. نويوات، مختار(٢٠٠٨)؛ كلمة رئيس التحرير (مقال)، **مجلة اللغة العربية**، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر،ع ٨.

١٦. هدنة،خالد:http://www.almaktabah.net/vb/showth read.php?t=362

١٧. يحياتن محمد (٢٠٠٦)، **التعددية اللسانية من خلال الأبحاث اللسانية الاجتماعية الحديثة**، مجلة اللسانيات، مركز البحوث العلمية والتقنية لترقية اللغة العربية، ع ١١.

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-02-05]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1436.22.1.1.1]

١٨. جماعة من المؤلفين (٢٠٠٠)، **اللغة والتعليم**، الهيئة اللبنانية للعلوم التربوية، بيروت: دار قابس.

References

1. The Holy Qur'an
2. Baleid Saleh, (2004); Al-Loghat al-Um, va al-Vaqaye al-Loghavi fi al-Jazaer (Mother Tongue, Language and Reality in Algeria), *Journal of Mother Tongue*. Homa Publications.
3. Saleh, Abdel Rahman, (2010); Al-Rasid al-Loghavi lil-Tefl al-Arabi…… (Linguistic Balance for Arab Children: Importance of Attention to the Extent of its Needs in Present Era) , *Journal of Linguistic Practice*s, Language Laboratory Practices in Algeria , Tizi Ouzou University, Algeria , Issue 1 .
4. Habas, Mohammad, (2008); *Arabic Language Magazine*, the Supreme Council of the Arabic Language, Algeria, No.8.
5. Didoh, Omar (Undated), *Linguistic Conflict in Algeria: Aggravate the Identity* , location: http://www.almarefh.net
6. Seyed Mahmoud, (2010); Methods of Language Instruction for Children, *Journal of Linguistic Practices*, No. 1.
7. Al Qasimi, Ali, (2010); The Language Policy in Arab Countries, Quds Al Arabi, Location: http://www.manfata.com
8. Moses (1984); Islamic Maghreb since Formation of the Camp until the End of the Century: Kharijites policy and systems, the National Book Foundation, Algeria.
9. Masdi, Abdul Salam, (1994); Al-Mostalah al-Naqdi, Tunisia: Abdul Karim bin Abdullah Publisher & Distributor.
10. Musabi, Abdul-Malik Mansour Hassan, location: http://mansourdialogue.org/Arabic/fikr2.html
11. Manji Sayad, Mahmoud, (1984); *Al-Taarib va Tansiqeh fi al-Watan al-Arabi* (Localization and Formatting in the Arab World), Lebanon: Center for Arab Unity Studies.
12. Nahar, Hadi, (2010); *Arabic Language and Globalization Challenges*, Jordan: Modern Book World.
13. Novivat, Mokhtar, (2008); Chief Editor Word, *Journal of the Arabic Language*, the Supreme Vol. 8, Algeria Council of the Arabic Language.
14. Hadneh, Khaled http://www.almaktabah.net/vb/showth read.php? T = 362
15. Yahyaten Mohammed, (2006); Linguistic Pluralism through Modern Social Linguistic Research, *Journal of Linguistics, Scientific and Technical Research Center to Promote the Arabic Language*, Vol.11.
16. Group of Authors, (2000); *Language and Education*, the Lebanese Association for Educational Studies, Beirut: Qabis Publication.

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-02-05]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1436.22.1.1.1]